قتلته كلمة

غاده محمد السيد

تتمدد على سريرها غير المرتب وسط أشياء مبعثرة هنا وهناك.. وتتذكر كيف رأته أول مرة صدفة في طريقها وكانت تسير مبتسمة توزع صدقة ابتسامتها بين الناس.. فتختطفها صوت ضحكته من الخلف لتتلاقى أعينهما فتمر دقائق وكأنها لحظة خاطفة فيترك الذي كان يحادثه على الهاتف في مكالمة فيديو ويخطو للأمام باتجاهها فتذهب هي خجلة دون كلمة..

فإن كان حبا حقيقيا سيجمعهما مجددا القدر وإن لم يكن فستحتفظ بنظرات الصمت تلك كصدفة حية بداخلها..

ويخطر ببالها كيف رأته من شباك حجرتها التي كانت تشعرها دائما أن النظر من خلالها يختلف، فهي بالتأكيد تطل على عالم آخر ودنيا غير دنياها فكانت ترى منها لحظة ذهاب الشمس لمخدعها في أحضان المياه..

لكن تلك الليلة عندما رأته أيقنت أن الشمس لن تغرب بعد ذلك، فهو كان لها شروقا..

وتتذكر كيف كان يتبعها كل ليلة دون أن ينطقا ببنت شفة فقط هما ونظرات تجمعهما تقول الكثير وكأنها حروف بعد الثمانية والعشرين الأخرى.

وكيف كان منظرها وهي بملابس المطبخ حاملة الملعقة فتفتح الباب لتجده حاملا الثلاث وردات ليقابل والدها؛ حيث أخبرها فيما بعد أن للوردات الثلاث حياة عنده عمًّا هو ملقى بالمزهرية..

وكيف عاشا قصة حب حقيقية لم تقتلها الكلمات المزيفة..
وبين لحظاتها مع الذكريات تعود عابسة مرة ثانية فهي تتذكر أنه اليوم نجحت عمليته فأصبح يتحدث ولأول مرة بعدما كان أبكم مثلها.. لكنه أول ما نطق أبدل بورداته الثلاث شوكًا يوخز قلبها؛ حيث أخبرها أنه لا يستطيع الزواج بها، فهو يريد أما لأولاده مثله تتكلم حتى لا يصاب الأولاد بالوراثة كما كان هو..
تسترجع ذكرياتهما دامعة حتى أسبلت جفنيها..
فتشعر بقلبها ينقبض فجأة من دون أسباب وكأنها تهرب من شيء مجهول..
لا تعرف سوى أنه أذى لها لا تشعر إلا بالخوف يملأها..
ومع أنها امرأة تفوق شجاعة الرجال شجاعة لكنها فقط تشعر بوخزة تؤرّقها لا تعرف سببها..
تستيقظ على بكاء من دون علة، ودموع من دون مأوى وبغير سبب لتجد رسالة على هاتفها..
«صاحب هذا الرقم أصابه حادث وهو بالمشفى الآن»..
يطير منها قلبها فلا تشعر إلا وهي تسأل عنه في استقبال المشفى فيجيبونها أنه بغرفة الإفاقة.
فتجري نحوها وكأنها آخر فرصة لميت في العودة للحياة ليكفر عن ذنوبه..
فتجده ملقى على سرير لا يشعر بدنياه.. فتدنو منه..
تنحرف دمعتها عن طريقها فتنزلق على خدها مقررة الهروب عنها..
فتمسك بيديه وتتذكر آخر كلمات منه لها..
«لكِ رائحة ما بعد المطر التي تهب لي الحياة وعندما تتحدثين وكأنها همهمات أمواج خفيفة تأخذني لعالم آخر فأغرق في بحرك.. فأنتِ بحر»..
لكنها الآن بحر جف ماؤه بتوقف نبضه عن الحياة وكأن جسده أبَى الحياة من دونها..
فعندما تحدث بالكلمات آلمها لكن صمته الآن أكثر وجعا لها..